

الولاء في الإسلام مأهو؟ ولئن يكون

فيلم

مكتور

قوله أحمد الطاهر رحمه الله

مدروس بقسم العقيدة

تمديد

لقد أكل الله - عروجل - دينه ، وأنتم رسالته بالنبي الخاتم
سيدنا محمد - ﷺ - وبما أنزل عليه من قرآن وسنة ، فلا هي بعده ،
وبالتالي لارسالة ولا وحى ، فيه - ﷺ - كل الدين ، ووضع المنهج ،
يقول تعالى : « اليوم أكمل لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً » (١) ، وأن هذا ضراطى مستقبيا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سيده » (٢) ، ويقول - سبحانه - مخاطبا النبي - ﷺ -
ومن آمن معه ، واتبع دينه : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا
إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم
من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون » (٣) .

والمستحب لآيات الذكر الحكيم يرى أن الله - عز وجل - قد حصر
الجهة التي يجب على المسلمين أن يراعوها ويتجهوا إليها بولايتهم وذلك في
قوله تعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا » (١) ، وبين النهاية
المستومة التي يتصل بها من يخلصون ولا هم لله ورسوله وللمؤمنين ، وذلك
في قوله جل شانه : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِوْبَ
اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (٢) .

- (١) سورة المائدة من الآية رقم ٣
(٢) سورة الأنعام من الآية رقم ١٥٣
(٣) سورة هود الايتان رقم ١١٢ - ١١٣
(٤) سورة المائدة من الآية رقم ٥٥
(٥) سورة المائدة الآية رقم ٥٦

والمسلمون الأوائل - رضوان الله عليهم - فهموا هذا الترجمة الإلهية ، فحققوا من خلاله دولة إسلامية ، نشأ أبنائها على أساس من معانيه ، فأصبحوا حارب الله الغالب ، لكن مع مرور الزمن أدرك أعداء الإسلام ، سر هذا النصر ، وفهموا حقيقة ، فعملوا بكل طاقاتهم الفكرية لتفريق الكيان الإسلامي ، وتوهمين ولأنه لله ودينه ، وقد نجحوا في هذا ، فالمسلمون الآن ينتشرون في أكثر من سبعين دولة إلا أن بعضهم قد لا يعرف عن البعض شيئاً ، ومع كل هذا فلا بأس فإن الخلاص معروف ، وهو أن يستجيب المسلمون لنصيحة ربهم الممثلة في قوله سبحانه : **ادعنا** وليسكن الله ورسوله والذين آمنوا ، **فيسعيدوا قلوبهم** ربهم ، ويمنعوه ولا هم المطلق ، ويمكنوا شرعه بينهم ، ومن لا يفعل ذلك فليس من الله في شيء .

التعريف بالولاء

جاء في المعجم الوجيز :

(الموالاة) فيها أن يعاهد شخص شخصاً آخر، (المولى) : الرب، وكل من ولي أمراً أو قام به، والسيد، والعبد، والتابع، والمنعم، والمنعم عليه، والقريب من المحبة كالعلم، وابن العم ونحو ذلك، (المولوى) : المنسوب إلى المولى، والزاهد، أو العالم الحكيم، (الولاية) : القرابة، والنصرة، والمحبة، (الولاية) : القرابة (الولاية) : القرابة، والخطبة، والإمامية، والبطان، والبلاد التي يتسلط عليها الوالي، (المولود) : كل من ولي أمراً أو قام به، والنصر، والمحبة، والصديق، والمطيع، يقال: المؤمن ولي الله، والجمع (أولياء) .

(١) سورة المائدة من الآية ٥٥

(ولى العهد) : من تؤول إليه وراثة الملك ، (ولى المرأة) : من يلى عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه ، (ولى اليتيم) : الذى يلى أمره ويقوم بكفانيته .

(وفى الاقتصاد السياسى) : من يتحمل عداطر الإلتزام ، فله القتم وعليه القرم ، والجمع : (أولياء) (١) .

تحديد المراد من التعريف :

عما سبق يعلم القاص معنى الكلمة وتفرعها ... لكن إذا تجاوزنا ذلك إلى أصل اللفظ وأساسه ، نجد أنه لا يخرج عن معنى النصرة ، والرعاية ، والحببة بين طرفين ، يظهر هذا ويثبت ما جاء فى القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله تعالى :

- « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » (٢) .
- « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » (٣) .
- « ومن لا يحب ذاهى الله فليس يحسن فى الأرض وليس له من دونه أولياء » (٤) .

- (١) المصطلح الوجيز — مجمع القصة القرآنية فى القاهرة مادة (ولى) ص ٦٨٢
- (٢) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٧
- (٣) سورة النساء من الآية رقم ٨٩
- (٤) سورة الاحقاف من الآية رقم ٢٢

- « ولكل جعلنا موالى ^(١) بما ترك الوالدان والأقربون » ^(٢) .
- « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » ^(٣) .
- « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ^(٤) .
- « وإن خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا... الآية » ^(٥) .
- قال ابن كثير : قال مجاهد وقتادة والسدى أراد بالموالى العصبية ^(٦) .
- « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمردة » ^(٧) .
- فإن هذه الآيات ينصص لنا عليها بعض معانى الولاء من النصرة والمحبة والقرب ، وعلى ضوء هذا المعنى سيكون بحثى هذا عن معنى الولاء .

الولاء (جل جلاله)

الولاء لله تعالى يكون بإسلام الوجه له سبحانه ، بحيث توجه إليه .
بحال مفاخر الإنسان وجوارحه ، وخلجات نفسه ، وكل ما يملك ، اقتداء
بمن نزل عليه ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين

(١) قال ابن كثير عن ابن عباس : أى عصبية ، والعرب تسمى ابن العم
مولى ١٥ ص ٤٩٠

(٢) سورة النساء من الآية رقم ٢٣

(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٤٠

(٤) سورة الأنفال من الآية رقم ٧٢

(٥) سورة مريم الآية رقم ٥

(٦) تفسير ابن كثير ٣ ص ١٣

(٧) سورة الممتحنة من الآية رقم ١

لا شريك له . (١) ومن قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . (٢)
ومن قال إله فيه : ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقى . (٣)

هذا الولاء لله — عز وجل — لا يكون قولاً باللسان فقط ، بل
بشاركة العمل ويشتمل في الانقياد التام لشريعته — سبحانه — وتنفيذ
ما جاء فيها ، والذود عنها ، والمقاتلة من أجلها ، إنه تنفيذ لشريع الله —
عز وجل — وفلو تصادم هذا الولاء مع الأهل والعشيرة ، فيجب أن
ينحاز المؤمن لله — عز وجل — ولرسوله ، فله الانتماء الأول والولاية
الأولى ، وهذا واضح من خطاب الله — تعالى — للمؤمنين في قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ، إن استحبوا
الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون » ، قل إن كان
آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم أزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها
وتجارة تحفون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم
الضالين ، (٤) ، ومنى هذا هو إظهار حق الله تعالى ، بحيث تكون لله
سبحانه الوجهة الأساسية ، فإذا تعارض شيء مع هذا الانتماء انسلخ منه
المسلم ، وتسامى عليه ، ووجه وجهه ربه رب العالمين .

من ثمرات هذا الولاء :

هذا الشعور إذا سيطر على المسلم وبذلك جوارحه فإن عليه كل شيء .

(١) سورة الأنعام من الآية رقم ١٠٢ ، ١٠٣

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢٨

(٣) سورة لقمان من الآية رقم ٣٤

(٤) سورة التوبة الآية رقم ٢٤ ، ٢٥

ورخص أمامه الغالي والنفيس ، وأصبحت الدنيا لا تساوى عنده مثقال حبة من خردل ، واكتفى بالله رب العالمين حالته . وعالق كل شيء .

وليس معنى هذا ترك الدنيا . وعدم الاستمتاع بما فيها ، فإن هذا يرفضه الإسلام ولا يقره ، يقول الله تعالى : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، (١) .

مظاهر الولاء لله — عز وجل — :

مظاهر الولاء لله تعالى كثيرة متعددة أهمها ما يلي :

١ — الإيمان بالله تعالى إلهاً واحداً عليهما حكماً عالفاً قادراً ، متصفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقص ، ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير (٢) ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٣) ، ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه . إلا يعلمها ولا حجة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليفضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٤) ، والتعريف عليه سبحانه لا يكون إلا من خلال أسمائه وصفاته ، والتفكير في عظيم مخلوقاته ، يقول تعالى : ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو . عالق كل شيء . فاصبروه وهو على كل شيء .

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ٣٢

(٢) سورة الشورى من الآية رقم ١١

(٣) سورة الأنبياء من الآية رقم ٢٢

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩ ، ٦٠

٧
(٢٢ — حويلة)

واكمل ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١) ،
 « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى
 الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت
 عابد كبر (٢) » ، « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض
 بعد موتها وكذلك تخرجون » ، « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم
 بشر تنثرون » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
 إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، « ومن
 آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك
 لآيات للعالمين » ، « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله إن في
 ذلك لآيات لقوم يسمعون » ، « ومن آياته يرثكم البرق خوفا وطمعا وينزل
 من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » ،
 « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض
 إذا أنتم تخرجون (٣) » ، « وفي الحديث عن أن هريرة عن النبي - ﷺ -
 قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل
 الجنة (٤) » ، « قال المناوى : أى من طلبها وتدبر معانيها وأطلع على حقائقها ،
 أو من أطافها أى أطاف بالقيام بحقها ، والعمل بمقتضاها ، بأن تأمل معانيها
 واستعمل نفسه فيها يتأهلها (٥) » .
 كذلك يشمل الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بما هو غيب (الدين
 المحضون بالغيب) (٦) ، من ملائكة الله - تعالى - ، وكتبه ورسوله ،

- (١) سورة الاسعاف الايتان ١٠٢ ، ١٠٣ .
- (٢) سورة النافشة الايات رقم ١٧ - ٢١ .
- (٣) سورة الروم الايات رقم ١٩ - ٢٥ .
- (٤) صحيح مسلم ٨ ج ٨ ص ٦٣ .
- (٥) انظر الحامش على صحيح مسلم ٨ ج ٨ ص ٦٣ ط دار التحرير -
 القاهرة .
- (٦) سورة البقرة من الآية رقم ٢ .

واليوم الآخر - بما فيه - والقدر بخيره وشره ، حلوه ومره ، وآمن
الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير^(١) ، وفي الحديث حينما سئل النبي - ﷺ - عن
الإيمان قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن
باليوم الآخر^(٢) » ، وفي رواية أخرى زاد : « وتؤمن بالقدر كله^(٣) » .
والذي لا شك فيه أن الذي يخسر هذا الإيمان يخسر وجوده في هذه
الحياة وما بعد هذه الحياة ، وبذلك يكون قد خسر كل شيء .

٢ - إظهار الطاعة لله - عز وجل - والمشاركة بإعلان العبودية :
وظيفة الإنسان في هذه الحياة وعمله الذي وجد له ، والغاية التي خلق
من أجلها هي العبادة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قصر
فيها فقد انتكس وأبطل غاية وجوده ، وأصبحت حياته جوفاء لا قصد
فيها ولا غاية ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون^(٤) » .
والعبادة في الإسلام لها مدلول أوسع من مجرد إقامة الشعائر المعروفة
كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فهي كما يقول الإمام ابن تيمية :
العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة
والباطنة^(٥) ، وعلى ذلك فهي تشمل في أمرين رئيسيين :

الأول : استغراق معنى العبودية - لله - عز وجل - في النفس .

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥ .

(٢) رواه أبو هريرة عن حديث طويل صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣١ رواه أبو هريرة عن حديث طويل .

(٤) سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .

(٥) الفتاوى - ابن تيمية - ج ١ ص ٢٦١ .

وذلك بأن يعلم بأن هناك عبداً يقيد ، ورأياً يقيد ، والشكل بالنسبة له سبحانه عبيد .

الثاني : التوجه إليه سبحانه بكل حركة ، ومراعات ذلك بأن يقوم بحفظ العقل ، والقلب والجوارح من مخالفة مراد الله - عز وجل - والتوجه بها إليه - سبحانه - والتجرد من كل شيء يخرج الإنسان من إطار العبودية الخاصة لله - عز وجل - .

بهذا وغيره يتحقق معنى العبادة ، وتصبح كل حركة من الإنسان في هذا السكون عبادة كالصلاة وغيرها ، وذلك كتعلم المهن والعلوم للدين التي ترفع بالآمة الإسلامية حتى تكون خير أمة ، ففي طلب هذا وتعلمه عبادة لله - تعالى - ومنفعة خاصة للإنسان ذاته ، ففي الحديث القدسي : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتق قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » .

٣ - الاستسلام المطلق لله - عز وجل - والتوجه إليه بالكلية :
من الولاء لله - عز وجل - الاستسلام الكامل له سبحانه ، وذلك بأن يتوجه العبد بكل ما يملك من نفس وجوارحه لله - عز وجل - حتى يستقيم مع الكون الذي أتى طائفاً به - عز وجل - ، بذلك يصدر

عن أبي عبد الله عليه السلام : (١)

(١) من حديث أبي نذر جندب بن جناده عن رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - فيما يروى عن الله تبارك وتعالى : رواه مسلم ، وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا . انظر رياض الصالحين - النووي - ص ٨٣ .

الراحة والاعطاشان ، ويطلق في هذه الحياة مرتكبا إلى سلطان الله —
عن وجل — الذي لا يقهر ولا يقب ، متوكلا عليه . بادلا جوده ومطابقه
في خدمه دينه ، ونعمه ، ومجتمعه ، واتقا بأنه لا يخذل له أحدا ، قال تعالى :
« ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء
قدرا » (١) ، وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله —
ﷺ — كان يقول : « اللهم لك أسنت ، وبك آمنت ، وبك أعتك ، وبك
توكلت ، وإليك أمنت ، ولك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا
أنت أنت تملئ ، أنت الخى الذى لا تموت ، والجن والإنس يموتون » (٢) ،
وعن أم حبيبة روى لى — ﷺ — قالت : اللهم امتنع بزوجي
رسول الله — ﷺ — وبأى أى عيبان وأحس معاريه ، فقال لى .
ﷺ — قد سألت الله لكجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق
مقسومة لن يسجل شيئا من حله ، أو يؤخر شيئا من حله ، ولو كنت
سألت الله أن يعيدك من عذاب فى النار ، أو عذاب فى القبر كان خيرا
وأفضل » (٣) ، على هذا المعنى صار معنا الصالح . رضوان الله عليهم .
فى هذه الحياه الدنيا ، والدفعوا نحو حصول المعاد فى السم وأخرب على
سواء فى عزيمه وإصرار وقدره وإقتدار . ولسان عالم يصدق ربنا
عبيك نركبا وإليك أتب وإليك لمصير » (٤) ، فأيدهم الله نصره ،
وصاروا قادة للأمم ، وأسوة صادقة من بعدهم

٤ - الاعتصام بالصبر في جميع الأمور والمواظبة

إذا كان الأنبياء أشد الناس هلاكا، وعلى قدر الإيمان يكون الابتلاء، كما أخبر الصادق عليه السلام، فإن الأمر على ذلك يظهر الولاء، فـ

(١) سورة العنلق من الآية رقم ٣.

(٢) صحیح مسلم ٨ ج ٨٥ ص ٨٥ . (٣) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٤) سورة المحتج من الآية رقم ٤ .

تعالى ، ومن أس — رضى الله عنه — قال قال رسول الله ﷺ —
 إن عظم الجلاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ،
 فمن رضى الله الرضا ، ومن سخط الله السخط ^(١) ، ومن هذا يؤخذ بأن
 الرضا والصبر في الاسلام له ألون ، كما أن له مقتنيات ، صبر على طاعة
 الله وتعمل مشاقها من عمل وجهاد ، ودعوة ، واجتهاد ... إلخ ، وصبر
 على البلاء والبأس ، وفل من يصبر على البصة فلا يبط ولا يكفر ،
 وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهي تصيق الصدور وصبر ، وصبر
 وصبر كله أسماء وجه الله — عز وجل — وولاء له ، والذين صبروا
 انتقام وجه ربهم ^(٢) لا يخرج من أن يقول الناس جزعوا ، ولا تحملا
 ليقول الناس صبروا ، ولا رجاء مع من وراء الصبر ، ولا دعة يأتي به
 الخروج ، ولا هدف واحد غير أسماء وجه الله — سبحانه — وولاء
 له ، إنه اتسكت بقوله الله — تعالى — في تحطته للنبي ﷺ فاصبر كما
 أرسلوا النور من أرسل ولا تستعجل هم ^(٣) ، واصبر على ما يقولون ^(٤) .

إله الرجاء في الله ، والنية بآله والاعتقاد على الله ، ولابد لأمة تنشط
 بها القوام على البشرية ، والعدل في الأرض والصلاح ، أن تبدأ بأشق
 الطريق ، ورحلتها بالصبر في البأس والصبر ، وحين الشدة ، والصبرين
 في البأس والصبر ، وحين البأس ^(٥) الصبر في اليأس والغفر ، والصبر

(١) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، الطبري رياض
 الصالحين ص ٤٤

(٢) سورة الرعد من الآية رقم ٢٢

(٣) سورة الاحقاف من الآية رقم ٣٥

(٤) سورة المؤمن من الآية رقم ١٠

(٥) سورة البقرة من الآية رقم ١٧٧

في المرض والضعف ، والصبر في العلة والنقص ، والصبر في الجهد والحصار والصبر على كل حال كي يهبط بواجبه ، فمن الخب من الأثر —
 رضي الله عنه — قال : شكوا إلى رسول الله — ﷺ — وهو منوم بردة في ظل الكعبة ، ومنا ألا تمتنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى المشار ، فيوضع على رأسه فيجعل خصبين ، ويمشط بأشواط الحديد مادون حبه وعظمه ، ما يصبه ذلك من دمه ، والله ليس الله عند الأمر حتى يسير الراكب من صغاه إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والادب على عبده ولذكم يستعملون ،^(١) ، وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال : كأي أظفر في رسول الله — ﷺ — يحكي نبياً من الأنبياء حلوت لله وسلامه عليه ضربة قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول ، اللهم عمر لعوم الإجم لا يسون^(٢) ، وعن أبي يحيى حميد بن عثمان — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : أحب لكم المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته شكره شكره ، وإن أصابته ضره صبره ، فكان خيراً له^(٣) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال قال رسول الله — ﷺ —
 ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة^(٤) .

(١) رواه البخاري ، وأبو داود ، والنسائي . انظر رياض الصالحين — النووي ج ٢

(٢) متفق عليه — المصدر السابق ج ١

(٣) رواه مسلم — المصدر السابق ج ٢

(٤) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح

• — مراقبة الله تعالى وحقيقته :

عن ولا المبدقة — عن وجن — عنه بأنه — سبحانه — مطلع عليه يعلم حائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وهو معه أينما كان ، يقول سبحانه : يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، (١) ، « إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » (٢) « الذي يراك حين تقدم ، ونفذك في الساجدين » (٣) « وهو معكم أينما كنتم » (٤) .

هذا يصير العبد في رقابة أمة لا ينظر إلى محمد الناس له ، أو شاقم عليه ، فهذا كله صبيح زائل لا قيمة له إلا في ديار الناس ، الذين حصل سميم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ذلك أنهم وكفوا في جوارحها ، وصاروا كالذهب المسحورة ، مراعى الخلق ناسين الخلق ، عقيب على الخطام الزائل ، فاقدين الايثار ، والتطلع إلى عائد الله — تعالى — .

فقدت لديهم المراقبة ، وغاب عنهم الصور ، وأساس ذلك معلوم وهو حسارة الشيطان وركبته ، فآلبسهم لباس القوة الزائفة ، ووضعت لهم من شأن أوليائه ، فأوقع في قلوبهم أنهم ذو حول وطول ، وأنهم يملكون النفع والضر ، وذلك لتحقق من خلاصهم الشر والفساد في

(١) سورة طه الآية رقم ١٩

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٥

(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٨ ، ٢١٩

(٤) سورة الحديد من الآية رقم ٤

الأرض وإنا دلكم الشيطان يحرف أوليائه فلا تقوهم وخافون إن كنتم مؤمنين» (١).

والإسلام لا يرضى هذه الأمانة بل يماثلهم بالله أولاداً خيراً ، لأن قدر الله هو الذي يصرّف كل شيء ، وكل أحد ، وكل حادث ، وكل حالة ، والمؤمن من شأنه أن ينتهي مع هذه الله إلى حيث ينتهي وهو واحد صريح ، وإدراكك هذا المعنى في قلب المسلم ملائمة يندأ وإيمانه لا يخشى الناس ، ولا يلتفت إلى باطنهم ، بل يرى قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاقبلوا بنعمة من الله وفصل لم يمسسهم سوء وأبجوا رضوان الله بالآية (٢).

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا زاد لعهده يصيب به من يشاء من عبده وهو العفو الرحيم» (٣) .

عده هي أهم مظاهر الولاء لله — هو وجل — ، وبها يتعلق القلب بالله — عز وجل — وحده ، والإقامة إليه في كل وقت وحين ، والإخلاص له في السر والعلان ، والصدق في القول والفعل ، والتوبة والاستعداد بمارل به القدم ، والرضا بقدرة وقدره ، وتعلق الجوارح بأوامره ، والبتديها عن نواهيه إلخ .

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٥

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٣ ، ١٧٤

(٣) سورة يونس الآية رقم ١٠٧

الولاء للرسول ﷺ :

والولاء للرسول الله ﷺ — لا يكون إلا بالأدعان التيهم لكل ما يوصيه عز ربه — جل وعلا — وبالحكمة عليه الصلاة والسلام في أمره كله ، ثم يوصي راحباً بحكمه مسلماً لتوجيهه ، لديه الاقتراح التام ، وبذلك يتم إيمان العبد قال تعالى : وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون هم الخيرة من أمرهم ^(١) .

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ^(٢) .

وفي هذا توجيه عام للأمم الإسلامية ، بأن يهتفوا بما قضى به رسول الله ﷺ — (فالعبرة بهجوم اللفظ لا بمحصر من السبب) ، ومعنى تحكيم رسول الله ﷺ — هو تحكيم شريعته ، ومهجه ، لأنحكيم شخصه كما رعى المرتدون الذين قاتلهم الصديق — رضي الله عنه — ، يبين هذا المفهوم ويجهله هذا الموقف الرابع أئداً على فهم صحابة رسول الله ﷺ — معنى الولاء والطاعة للرسول ﷺ — .

ذلك أنه — بعض مشركو مكة العبد الذي بينهم وبين المسلمين ، يافزتهم عن قبيلة حواجة حبيبهم رسول الله ﷺ — وقدم عمرو ابن سام يستجد برسول الله ﷺ — حرم الرسول عن فتح مكة وصور المشركين ، وأدركت قريش أنها أخطأت ، وارتكبت حما ، صارت إلى إرسال أبي سفيان لعله يصلح في تهدئة الخواطر ، وإيقافه الحسرب .

(١) سورة الأحزاب من الآية رقم ٣٦

(٢) سورة النساء الآية رقم ٦٥

وقدم أبو سفيان إلى أئدته وقصد ابنته أم حبيبة زوج رسول الله

— — —

فلما دخل عليها كان فراش رسول الله — — — مبسوطة ، فلما
تقدم ليجلس عليه طوته عنه . . . فقال لها يا بنية : أرغبت بي عن هذا
القماش ، أم رغبت به عني ؟ فقالت له ابنته : بل هو فراش رسول الله
— — — ، وأنت رجل مشرك نجس ، ولا أحب أن تجلس على
فراش رسول الله — — — ، قال : والله لقد أصابك يا ابنتي بعدى
شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله — — — ، فكله فلم يرد عليه شيئاً ،
فكلم أبا بكر ، وحمز ، فلم يستجب له أحد ، (١) .

هذا هو أبو سفيان قائد مكة ، وشيخها في الجاهلية تنأى عنه
ابنته وتبعد عنه فراش رسول الله — — — لأن ولاءها ليس لإلله
ولرسوله ، مع ما هو معروف من أن عواطف المرأة سريعة التأثر ، وأنها
عادة ما تضعف أمام علائق الأبوة والبنوة ، ولكن الإيمان صنع من
صحابه رسول الله — — — وأزواجه وأتباعه نفوساً جديدة ،
استلمت على العواطف الإنسانية ، والذرات البشرية ، حتى أصبحت تؤثر
التبعية لله ولرسوله — — — على ما تملك من مال وأولاد حتى نفس
الإنسان التي بين جنية .

من مظاهر الولاء للرسول — — —

من دلائل الولاء للرسول — — — زيادة صلى ما تقدم
ما على :

(١) انظر سيرة النبي — — — ابن هشام — — ٢٠٠ من ٢٦٦

١ - حب النبي - ﷺ - :

حب رسول الله - ﷺ - متصل بحب الله - جلا جلاله - لا يتفصل عنه ، يقول تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (١) ، ولم لا ؟ وقد احفظنا الله واختاره وجمعه جاثماً للثنين ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ومن سوء الجاهل وظلامه إلى نور العلم وضياؤه ، وهذا واضح من خلال حرمه - ﷺ - على أمته ، وتمسكه بإخراجهم من الكفر إلى الإيمان ، فقد كانت تصل به هذه الحالة أقصاها ، إلى درجة يقول له فيها الوحي : « أم لك يا خلع نفسك إلا يكونوا مؤمنين » (٢) ، « فلتلك يا خلع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (٣) ، يعني أتهلك نفسك يا محمد أمدا على المصراف قومك عن الإيمان ، وقد استمر - ﷺ - في جهاده وحرمه هذا ، يحس القلوب ، ويوقظ الضمائر ، ويدل على طريق الله - عز وجل - الموصل إلى رضوانه ، حتى آخر نفس في حياته - ﷺ - ومات ودرعه مرهونة عند يوردي .

أفلا يستحق هذا النبي الكريم ، الحب والولاء من أمته ، إن هذا أقل شيء ، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا قسم حب رسول الله - ﷺ - على نفسه ووالده وولده والناس أجمعين فمن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (٤) ، وعنه أيضاً عن النبي - ﷺ -

(١) سورة القرآن من الآية رقم ٣١

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢

(٣) سورة الكهف الآية رقم ٦

(٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٩

قال: وثلاث من كن فيه وجد بينه وبين حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يبكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار^(١) ، لقد بلغ هذا المعنى مداه في صحابة رسول الله — ﷺ — .

فقد أحبوه حباً لم تعرف له النفس البشرية نظيراً ، فها هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك لما سمع يوم أحد قتل رسول الله — ﷺ — قال : ما تصمتون بأحياء بعده ، موتوا على ما مات عليه رسول الله — ﷺ — ثم استقبل القوم وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد ، وقاتل حتى قتل ، ووجدته فيه بعضاً وثمانين جراحة ما بين خربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، هكذا بلغ حب الصحابة للنبي — ﷺ — .

ومعنى هذا كما يقول القاضي عياض — رحمه الله عنه — أعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر مراقبته ، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً^(٢) ، فمن ثوبان مولى رسول الله — ﷺ — أنه كان شديد الحب لرسول الله — ﷺ — قليل الصبر عنه ، فأناء يوماً وقد تغير لونه وتحل جسمه ، وهرق الحزن في وجهه ، فسأله رسول الله — ﷺ — عن حاله ، فقال : يا رسول الله ما لي وجمع خير أئمة إذا لم أراك اشتقتك : واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألك ، فذكرت الآخرة بحيث لا أراك هناك ، لاني إن دخلت الجنة فأتيت تكون في درجات النبيين ، وإن أنا لم أدخل الجنة لحبنت لا أراك أبداً ، فنزلت هذه الآية : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أسماهم الله

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) مختصر شعب الإيمان — البيهقي ص ٢٨

ظلمهم من النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، (١) ، قال الشيخ
النبهاني — رحمه الله — : وهذا ظم في المطيعين لله من أصحاب
الرسول ومن بعدهم ، (٢) .

والحب الصادق له دلائل وإمارات تظهر على الحب ، وذلك من
اقتداء به — ﷺ — . واستمال صنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتنال
أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأديب بأدابه ، والتخلق بأخلاقه الشريفة
والإلمام بكن محباً ، فلا محبة بدون طاعة والزام .

٢ — تعظيم النبي — ﷺ — وتوقيره :

من مظاهر الولاء لرسول الله — ﷺ — تعظيمه وتوقيره يقول تعالى :
« فالذين آمنوا به وهرؤوه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل مع أولئك
هم المفلحون » ، (٣) ، « لنؤمنن بالله ورسوله ونهرؤوه ونوقروه » ، (٤) ،
والتميز هنا : التوقير بلا خلاف (٥) ، ويقول سبحانه : « لا تعجلوا دعاء
الرسول بدينكم كدعاهم بعضكم بعضاً » (٦) أي لا تقولوا يا محمد يا أيها القاسم
بل قولوا يا رسول الله ، يا بني الله ، ويقول أيضاً : « يا أيها الذين آمنوا

- (١) الأنوار الحمديدية من المواهب اللدنية — النبهي — ص ٣٩٢ ،
والآية بن سورة النصار رقم ٩٩ .
- (٢) المصدر السابق — نفس الصفحة .
- (٣) سورة الأعراف من الآية رقم ١٥٧ .
- (٤) سورة الفتح من الآية ٩ .
- (٥) المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية للقاهرة — ص ١٦٦ .
- (٦) سورة النور من الآية رقم ٦٣ .